JALHSS مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences – JALHSS
www.jalhss.com ISSN: 2414 – 3383
العدد (6) أيار - مايو 2016

# استشهادُ القرآنُ بأهلِ الكتابِ على صِحَّةِ الرِّسالةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ والْوَحْيِّ الْقُرْآنِيِّ

**أ.د. مشعان سعود عبد العيساوي**
كلية الإمام الأعظم
بغداد – العراق

**د. حسان علي عبد محل الفراجي**
كلية الآداب – جامعة الأنبار
الانبار - العراق

**الخلاصة**

يَتَلَخَّصُ هذا البحثُ في تَتَبُّعِ اعترافاتِ أهلِ الكتابِ ( اليهود والنصارى) في القرآن الكريم ؛ كَوْنُهَا دالةٌ على صِحَّةِ الرِّسالةِ المُحَمَّدِيَّةِ والوَحْيِّ القُرْآنِيِّ ، فطالما نَقَلَ القُرآنُ اعترافاتهم واقراراتهم، في عِدَّةِ مَواضِعَ مِنهُ، وهذا يَدُلُّ على أهميةِ دورِ مؤمنيهم في الإسلام ؛ فمن أجْلِ هذا وغيره ، رَأَيْنَا أنْ نقف عند اعترافاتهم في عَشْرِ مسائلَ من هذا البحثِ المُبارك، نَسْأَلُ اللهَ تَعالى أنْ تكونَ هذه الدراسةُ مَدْخَلاً ، وفاتحة خيرٍ لغيرها من الدِّراسات في هذا المجال.

## ABSTRACT

This research aims to investigating the confessions of the people of the books (Jews and Christians) in the holy Quran, for they prove the truthfulness of the Mohammedian message and Quranic revelation. The holy Quran transfers their confessions in different instances. This indicates the importance of the role of the believers in Islam. For this, we find to register their confessions in ten subjects. We ask God that this study will pave the way to a lot of studies in this sense.

## المقدمة

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ, وَالصَّلاة وَالسَّلام على من أرْسلهُ الله رَحْمَة للعَالمين، وَجعله هادياً ومربياً وقدوة للمُؤْمِنين، اللهمَّ لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهمَّ علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنَا الحَقَّ حَقاً وَارْزُقْنَا إتِّبَاعَه، وَأرنا الباطل باطلاً وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ, اللهمَّ حَبِّبْ إلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، أما بعد:

فالمؤمنون من أهل الكتاب اعترفوا بالقرآن الكريم، وآمنوا بأنَّهُ من عند الله ، بل إنَّ علماءهم الذين هم أقرب النّاس لِكُتُبهم السَّماوية، وأعلم بها من سواهم، قد أقرُّوا واعترفوا به، واعترافهم لم يكن آتٍ من فراغ ، فلا بدَّ أنَّ الأدلة الكافية قد توافرت عندهم ؛ للإيمان، والاعتراف، والإذعان، والتسليم، بالقرآن الحكيم لما وجدوه في كتبهم، نعم وجِدَ فيهم من أنكر الاعتراف به، وجَهَدَ في إخفاء الحقائق التي باتت مُسَلَّمة عندهم، ففضحهم الله تعالى، كاليهوديِّ الذي وَضَعَ يده على آية الرَّجم ، في حادثة اليهوديَّين اللَّذين زنيا[1]، غير أنَّ آخرين منهم، لم يسعهم، إلاّ الاعتراف والإذعان له، كعبد الله بن سلام، وَتَمِيمٍ الدَّارِيِّ، وَسَلْمَانَ الْفَارسِيِّ، وغيرهم. لأنهم كانوا يجدون صفات النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في التوراة والإنجيل، فرأوا صفاته ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ مطابقة لما ورد في كُتُبهمُ التِي يدرُسُونَها، فآمنوا به في وقت مبكر من العهد المكي. وقد ساق القرآن الكريم اعترافاتهم؛ لبيان صحة نبوة رسوله، ووحيه إليه ، لذلك شرعنا في البحث عن تلك الاستشهادات التي ذكرها القرآن الكريم عنهم ؛ لكونهم أعْرَف من غيرهم بما جاءهم به النبيُّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ من الرسالة والوحي ، ومن الله ـ تعالى ـ وحده العون والسَّداد.

## أهمية الموضوع ، وأسباب البحث فيه

احتلَّ الحديث عن أهل الكتاب جانباً لا بأس به من القرآن الكريم، وقد جاء الحديث عنهم مطولاً في بعض سور القرآن (كالبقرة وآل عمران، والاسراء)، ووجه تسمية البقرة بهذا الاسم؛ لأنَّها انفردت بذكر قصة البقرة التي أمر الله بني اسرائيل بذبحها[2]. ووجه تسمية آل عمران بهذا الاسم؛ لورود ذكر آل عمران في مواطن كثيرة منها[3]. ووجه تسمية سورة الاسراء، بسورة بني اسرائيل (( أنها ذكر فيها من أحوال بني إسرائيل ما لم يذكر في غيرها))[4]، حتى أنها كانت تُسمّى في عهد الصَّحابة: ( سورة بني إسرائيل)[5] فمن هنا اكتسب البحث عن أهل الكتاب الأهمية الكبرى، هذا من حيث العموم، أي: عموم أهل الكتاب ، أمَّا من حيث الخصوص ، أي: خصوص الحديث عنهم ـ ونعني به ـ أهمية هذا البحث الذي يتولى جزءاً من الحديث عن أهل الكتاب المتضمن الوقوف على اعترافاتهم واقراراتهم في القرآن الكريم، فله من الأهمية بمكان، إذ هو يعرفنا على استشهاد القرآن الكريم على صحة الرسالة المحمدية والوحي المحمدي، مِمَّا يُعزِّز توالي الأدلة على صدق القرآن وما جاء فيه، ومن جاء به أيضاً.

## خطة البحث

تطلبت طبيعة البحث، أن تكون خطته على النحو الآتي:

المقدمة، وفيها : أهمية الموضوع ، وأسباب البحث فيه.

---

(1) ينظر: القصة بتمامها في الجامع الصحيح المختصر، للإمام البخاري برقم:( 3436) 1330/3 . والجامع الصحيح ، للإمام مسلم برقم: (4533) 5/ 121.

(2) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي:24/1.

(3) ((والمراد بآل عمران عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه مريم بنت عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود عليهما السلام قاله الحسن ووهب، وقيل: المراد بهم موسى وهارون عليهما السلام، فعمران حينئذ هو عمران بن يصهر أبو موسى- قاله مقاتل- وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة. والظاهر هو القول الأول؛ لأنَّ السورة تسمى آل عمران ولم تشرح قصة عيسى ومريم في سورة أبسط من شرحها في هذه السورة، وأما موسى، وهارون فلم يذكر من قصتهما فيها طرف فدل ذلك على أن عمران المذكور هو أبو مريم)) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي: 127/2، وينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن:239/1.

(4) التحرير والتنوير، لابن عاشور:5/15.

(5) كما في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم : (( نهن من العتاق الأول وهن من تلادي )) الجامع الصحيح المختصر: برقم: (4431)1741/4.

المبحث الأول، وفيه ثلاث مسائل:
المسألة الأولى: نبذة موجزة في التعريف بأهل الكتاب.
المسألة الثانية: مواضع ورود لفظة أهل الكتاب وصيغها في القرآن.
المسألة الثالثة: سبب اختيارنا الحديث عن أهل الكتاب.
المبحث الثاني، وفيه عشر مسائل:
المسألة الأولى: معرفتهم بصدق القرآن كمعرفتهم ابنائهم.
المسألة الثانية: الأمر بسؤال أهل الكتاب عن بعض حقائق هذا الدين.
المسألة الثالثة: استشهاد القرآن بالذين كانوا على بينة من ربهم.
المسألة الرابعة: اعترافهم بإنزال القرآن على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .
المسألة الخامسة: الاستدلال على صدق الرسول بشهادة أهل الكتاب.
المسألة السادسة: اعتراف المقتسمين من أهل الكتاب .
المسألة السابعة: اعترافهم أنَّ القرآن منزلٌ بالحق.
المسألة الثامنة: اعترافُ أحبَارهم وأذكيائهم بالقرآن.
المسألة التاسعة: اعترافُ شاهد بني اسرائيل.
المسألة العاشرة: اعترافات علماء أهل الكتاب ورهبانهم.
ثمَّ الخاتمة ، والمصادر والمراجع.

ونرجو أن نكون قد أعطينا صورة واضحة، عمَّا عرضه القرآن الكريم من مواقف أهل الكتاب واعترافاتهم بالقرآن ، والموضوع قد يمكن فيه التوسع ، ولكن طبيعة البحث تقتضي الاختصار على هذا القدر.. والله ولي التوفيق.

## المبحث الاول

### المسألة الأولى: نبذة موجزة في التعريف بأهل الكتاب

التعريف المناسب لأهل الكتاب هم: (اليهود والنصارى)[1] وهو ما ذهب إليه معظم العلماء؛ لصريح الآيات الدَّالة على أنّهم هم المقصودون بأهل الكتاب، قال ابن قدامة : (( وأهل الكتاب.. هم أهل التوارة والإنجيل، قال الله تعالى : { أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ... }[2] فأهل التوارة: اليهود والسامرة، وأهل الإنجيل: النصارى ومن وافقهم في أصل دينهم .. وأما من سوى هؤلاء من الكفار، مثل: المتمسك بصحف إبراهيم، وشيث، وزبور داود، فليسوا بأهل كتاب، ولا تحل مناكحتهم ولا ذبائحهم))[3].

ومن الآيات الواضحة والصريحة في أنَّ المُراد باهل الكتاب اليهود والنصارى، فضلاً عمَّا ذكره ابن قدامة ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}[4]، ووجه الاستدلال بها: أنَّ الباري جلَّ وعلا سَمَّى أهلَّ التوراة والانجيل: أهل الكتاب، ومعلوم أنَّ الذين أنزلت عليهم التوراة والانجيل هم اليهود والنصارى ، إذ إنَّ التوراة أُنزل على نبيِّ الله تعالى موسى ـ عليه السَّلام ـ، والانجيل أُنزل على نبيِّ الله تعالى عيسى ـ عليه السَّلام.

أمَّا مفهوم أهل الكتاب عند الأحناف ، وابن حزم الظاهري ، ففيه توسع أكثر من الآخرين ليشمل: ((كُلُّ مَنْ يَعْتَقِدُ دِيناً سَمَاوِيّاً، وَلَهُ كِتَابٌ مُنَزَّلٌ كَصُحُفِ إبْرَاهِيمَ وَشِيثٍ وَزَبُورِ دَاوُد ـ عَلَيْهِمْ السَّلَامُ ـ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)) [5]. ويبدو أنَّ ابن حزم قد استقرَّ عنده هذا التُوجه فقد نبه في كتابه المحلى، ولأكثر من مرَّة أنَّ المجوس هم من أهل

(1) ينظر: المجموع شرح المهذب، للنووي: 16/ 232. والملل والنحل، للشهرستاني: 207/1 .
(2) الأنعام: ١٥٦.
(3) المغني، لابن قدامة: 500/7 .
(4) المائدة: ٦٨.
(5) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، للزيلعي:2/ 110.

الكتاب، فقال: ((وَلَا يُقْبَلُ مِنْ كَافِرٍ إلَّا الْإِسْلَامُ، أَوْ السَّيْفُ حَاشَا أَهْلَ الْكِتَابِ خَاصَّةً، وَهُمْ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى، وَالْمَجُوسُ فَقَطْ))[1]. وقال: ((وَأَمَّا الْمَجُوسُ: فَقَدْ ذَكَرْنَا فِي كِتَابِ الْجِهَادِ أَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ فَحُكْمُهُمْ كَحُكْمِ أَهْلِ الْكِتَابِ))[2]. وقال: ((وَأَمَّا الْمَجُوسِيَّةُ فَقَدْ ذَكَرْنَا فِي " كِتَابِ الْجِهَادِ " وَ " كِتَابِ التَّذْكِيَةِ " مِنْ كِتَابِنَا هَذَا أَنَّ الْمَجُوسَ أَهْلُ كِتَابٍ))[3].

وفي ضوء ما تقدم يتلخص لنا: أنَّ اهل الكتاب هم: (اليهود والنصارى) عند الطائفة الأكبر من العلماء، أما أبو حنيفة وابن حزم ـ رَحِمَهُمَا اللهُ تعالى ـ: فقد توسعا في هذا المفهوم فأدخلا كلَّ من يُدين بدينٍ سماوي تحت عنوان أهل الكتاب، (كاليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والصابئة ، وكل من لهُ كِتَابٌ مُنَزَّلٌ)، وهذا التوجه يُخالف ما عليه إجماع الأمّة من أنّ المراد بأهل الكِتاب هُم اليهود والنصارى ليس غير.

## المسألة الثانية: مواضع ورود لفظة أهل الكتاب وصيغها في القرآن الكريم

وردت لفظة أهل الكتاب في القرآن الكريم بصيغ مختلفة منها:

1. (أهل الكتاب): وهذه الصيغة وردت في إحدى وثلاثين موضعاً من القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: { مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }[4].
2. (الذين آتيناهم الكتاب): وهذه الصيغة وردت في ثمانية مواضع من القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}[5]. وقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ فَالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هؤُلاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلاَّ الْكافِرُونَ}[6]. وقوله تعالى: {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } [7]. وقوله تعالى: { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ} [8].
3. (الذين أوتوا الكتاب) وهذه الصيغة وردت في ستة عشر موضعاً من القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: { وَما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ }[9].
4. ( الذين أوتوا نصيباً من الكتاب): وهذه الصيغة وردت في ثلاث مواضع من القرآن الكريم في قوله تعالى:(( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ } [10]، وقوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ}[11]، وقوله: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً }[12].
5. (الذين يقرءون الكتاب من قبل): وقد وردت هذه الصيغة مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: { فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}[13].
6. (الذين أورثوا الكتاب): وقد وردت هذه الصيغة مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: { وَما

---

(1) المحلى، لابن حزم: 5/ 413 .
(2) المصدر نفسه: 6/ 146 .
(3) المصدر نفسه: 9/ 17.
(4) البقرة: ١٠٥.
(5) البقرة: ١٢١.
(6) العنكبوت: ٤٧.
(7) الأنعام: ١١٤.
(8) الرعد: ٣٦.
(9) البينة: ٤.
(10) آل عمران: ٢٣.
(11) النساء: ٤٤.
(12) النساء: ٥١.
(13) يونس: ٩٤.

تَفَرَّقُوا إلاّ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إلى أجَلٍ مُسَمًّى لقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الكِتابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ } [(1)].

## المسألة الثالثة: سبب اختيارنا الحديث عن أهل الكتاب

1. لأنَّهم أقرب الى الأصول التي نحتكم إليها، فهم يؤمنون بوجود الله، ويؤمنون بالرُّسل ـ عليهم الصَّلاة والسَّلام ـ ولذلك فأقوالهم واعترافاتهم لها صلة بأصول اعتقادنا [(2)]. ولذا أمرنا الله تعالى حين المجادلة معهم بتذكيرهم بهذه الأصول حين ،قال: { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [(3)].
2. أنَّهم على درايةٍ في معرفةِ المناهج الربانيةِ بما هو وارد في كتبهم، في صفة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتبشير به، فما أخبروا به إنما هو على ضوء مروياتهم ، وإرثهم الذي ورثوه عن أسلافهم؛ ولذلك تُعَدُّ أقوالهم بمثابة الاقرار من أطراف أخرى، قد يتأثر بها البعض؛ لأنها من شهادات الأعداء ، والفَضْلُ ما شَهدتْ به الأعداءُ.
3. ورد الأمر في القرآن الكريم، بسؤال المُنصفين من أهل الكتاب عن بعض حقائق هذا الدين، فقال: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [(4)]. وقال: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [(5)]. فهذا لا شك يُدَلِّلُ على دور مؤمنيهم، في اثبات صِحَّة الرِّسالة والوحي.
4. ورد الحديث عن أهل الكتاب في القرآن الكريم، مفصلاً في مواضع ، وفي مواضع أخرى، جاء الحديث عنهم مجملاً، وقد يرد الحديث عنهم مقصوداً، يراد به أهل الكتاب لا غير، وربما يرد الكلام عنهم عرضاً، فيراد به أهل الكتاب أو غيرهم، فبسبب ذلك، اختلفت أنظار المفسرين في المعني بالنصوص القرآنية الواردة في هذا الشأن، ضمن هذا السِّياق، فأردنا حسم مواطن الاختلاف، بعد الموازنة بين الأدلة، وبما صَحَّ من أسباب النزول القرآني.

## المبحث الثاني

## المسألة الأولى: معرفتهم بصدق القرآن كمعرفتهم ابنائهم

تَكَرَّرَ في القرآن الكريم ذكر حقيقة معرفة أهل الكتاب لهذا القرآن، أو لصحة رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ سواء في مواجهة أهل الكتاب أنفسهم، عند ما كانوا يقفون من النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن هذا الدين وقفة المعارضة، والإنكار، والحرب، والعداء، وكان هذا غالباً في المدينة، أو في مواجهة المشركين من العرب لتعريفهم أنَّ أهل الكتاب، الذين يعرفون طبيعة الوحي والكتب السماوية، يعرفون هذا القرآن، ويعرفون صدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أنَّهُ وحيٌّ أوحى به ربه إليه ،كما أوحى إلى الرسل من قبله [(6)] ، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ :{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [(7)]، وقال: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [(8)]
إذن عُلَمَاءَ أَهْلِ الكِتَابِ يَعْرِفُونَ صِحّة مَا جَاءَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ[(9)]

---

(1) الشورى: ١٤
(2) ينظر: التفسير الحديث، لمحمد عزة دروزه:486/5.
(3) العنكبوت: ٤٦.
(4) يونس: ٩٤ .
(5) النحل: ٤٣.
(6) ينظر: في ظلال القرآن ، لسيد قطب:2/ 1060 .
(7) البقرة: ١٤٦ .
(8) الأنعام: ٢٠ – ٢١ .
(9) ينظر: تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير: 1/ 462.

((ومعرفة الناس بأبنائهم هي قمة المعرفة، وهي مثل يضرب في لغة العرب على اليقين الذي لا شبهة فيه))[1].

ويرى أكثر المفسرين أن الضمير في { يَعْرِفُونَهُ } يعود على النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وهو قول الْحَسَن وَقَتَادَةَ، وَالزَّجَّاج، ويؤيد ذلك: سبب نزول الآية، وقوله: { كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ } ، ويرى بعضهم: أنه يعود على القرآن لتقدمه في قوله: { وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ..} [2] أو على التوحيد؛ لدلالة قوله: { قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [3]. أو على تحويل القبلة[4].

وحكى الكلبي والفراء: أنَّ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال لعبد الله ابن سلام: لقد أنزل الله على نبيّه : {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ} فكيف يا عبد الله هذه المعرفة؟ فقال عبد الله بن سلام: يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما أعرف ابني إذا رأيته مع الصبيان يلعب، وأنا أشدّ معرفة بمحمّد منّي لابني، فقال عمر: وكيف ذاك؟ فقال: أشهد إنّه رسول حقّ من الله، وقد نعته الله في كتابنا وما أدري ما تصنع النساء، فقال له عمر: وفقك الله يا بن سلام فقد صدقت وأصبت[5]. وعلى جميع الأقوال فالمطلوبُ واحدٌ وهو اعترافهم بالقرآن ، أو القبلة ، أو النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكلها اعتراف بحقائق هذا الدين وصدقه، يقول الزمخشري:(( وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحة نبوّته))[6].

## المسألة الثانية: الأمر بسؤال أهل الكتاب عن بعض حقائق هذا الدين

خاطب الباري جلَّ وعلا نبيه محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يسأل المنصفين من أهل الكتاب والعدول منهم؛ ممن أقروا واعترفوا له ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالرسالة ، فقال: { فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [7].

اختلف المفسرون في الخطاب في هذه الآية فقيل الخطاب: مُوَجَّهٌ إلى النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وقيل: الخطاب مُوَجَّهٌ للمشركينَ عبدة الأوثان، قال الإمام القرطبي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : (( الخِطَابُ لِلنَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَالْمُرَادُ غَيْرُهُ[8]، أَيْ لَسْتَ فِي شَكٍّ وَلَكِنْ غَيْرُكَ شَكَّ ... وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْخِطَابِ النَّبِيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ لَا غَيْرُهُ... وَقِيلَ: الشَّكُّ ضِيقُ الصَّدْرِ، أَيْ إِنْ ضَاقَ صَدْرُكَ بِكُفْرِ هَؤُلَاءِ فَاصْبِرْ، وَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ يُخْبِرُوكَ صَبْرَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ عَلَى أَذَى قَوْمِهِمْ وَكَيْفَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ. وَالشَّكُّ فِي اللُّغَةِ أَصْلُهُ الضِّيقُ[9]، يُقَالُ: شَكَّ الثَّوْبَ أَيْ ضَمَّهُ بِخِلَالٍ حَتَّى يَصِيرَ كَالْوِعَاءِ))[10].

الترجيح:

مع أنَّ الكثيرين من المفسرين قد ذكروا الأقوال المتقدمة ولم يرجحوا منها شيئاً، غير أنَّ المتتبع والمتأمل لطريقة عرضهم للأقوال يجد أنَّهم يميلون للقول الثاني والأول، أما القول الثالث، فهو بعيدٌ، فالإمام القرطبي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ يبدو أنَّه يرى رجحان القول الأول، لأنه أبتدأ به، أما القول الثالث فقد ذكره بصيغة التضعيف. والإمام الرازي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ يميل مع اصحاب القول الأول ؛ لأنه بدأ به أيضاً، ثمَّ قال بعد ما ذكره: ((وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ وُجُوهٌ....))[11]. وممن رجح هذا القول ابن عطية ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ إذ قال: ((والصواب في معنى الآية أنها

(1) في ظلال القرآن: 1/ 135.
(2) الأنعام: ١٩ .
(3) الأنعام: ١٩ .
(4) ينظر: النكت والعيون ، للماوردي:2/ 100،101 ، والجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي: 6/ 400. ومدارك التنزيل وحقائق التأويل:141/1.
(5) معاني القرآن، للفراء : 1/ 329 . والكشف والبيان ، للثعلبي: 2/ 13.
(6) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري:12/2.
(7) يونس: ٩٤ .
(8) قال ابن الجوزي : ((وهذا قول الأكثرين)). زاد المسير في علم التفسير:2/ 350. ومن الأمثلة التي ساقها المفسرون مع هذا القول المثل المشهور: (( إِيَّاكِ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَةُ)). لسَهْل بن مالك الفَزَاري الذي عُدَّ أول قائل به، كما ذكر الميداني في مجمع الامثال:49/1.
(9) رفض الآلوسي هذا التوجه في تفسير الشك ، ووصفه بأنه بعيد جداً. ينظر: روح المعاني: 6/ 178.
(10) الجامع لأحكام القرآن:8/ 382.
(11) التفسير الكبير، للرازي:17/ 300.

مخاطبة للنبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمراد بها سواه)) [1].

أمَّا الزمخشري والبيضاوي فقد ذهبا الى التأويل ، فذكرا أنَّ هذا على ـ الفرض والتمثيل كأنه قيل: فإن وقع شكٌ مثلاً، وخيَّل لك الشيطان خيالاً تقديراً فسل علماء أهل الكتاب[2].

ونختم الحديث في هذه المسألة: (( ـ أنه ـ لما قدم ذكر بني إسرائيل وهم قراء الكتاب، ووصفهم بأن العلم قد جاءهم؛ لأنَّ أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكتوب في التوارة والإنجيل ،وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، أراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويبالغ في ذلك، فقال فإن وقع لك شك فرضاً وتقديراً، وسبيل من خالجته شبهة، أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى قوانين الدين، وأدلته ، أو بمباحثة العلماء، فسل علماء أهل الكتاب، فإنهم من الإحاطة بصحة ما أنزل إليك، بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلاً عن غيرك، فالمراد وصف الأخبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، لا وصف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالشك فيه))[3].

أما المراد بقوله ـ سبحانه وتعالى ـ : { الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ } فهم الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، كَعَبْدِ اللَّه بْن سَلَامٍ، وَعَبْدِ اللَّه بْن صُورِيَا، وَتَمِيمٍ الدَّارِيِّ، وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يُوثَقُ بِخَبَرِهِمْ، كما قال الْمُحَقِّقُونَ من أهل التفسير [4].

وَمُؤَدَّى هذهِ الآية : (( تتضمن تقريراً إيجابياً بأنَّ المطلعين على الكتب السماوية السابقة سيشهدون حتماً بصحة ما أنزل الله على النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتلهم الوثوق واليقين التامين للسامع أيضاً)) [5].

## المسألة الثالثة: استشهاد القرآن الكريم بالذين كانوا على بينة من ربهم

أستشهد القرآن الكريم بمن وصفهم أنهم كانوا على بينة من ربهم في قوله ـ جلَّ جلاله ـ: { أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ} [6] ولأهل التفسير في هذه الآية، أقوال وترجيحات مختلفة، لكثرةِ عود الضمائر فيها ، إلى درجة أنْ قالَ ابن عاشور ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: ((أغلقت معاني هذه الآية؛ لكثرة الاحتمالات التي تعتورها ،من جهة معاد الضمائر، واسم الإشارة ، ومن جهة: إجمال المراد من الموصول ، وموقع الاستفهام ،وموقع فاء التفريع)) [7].

فحصلَ بسبب هذا اختلاف بين المفسرين في الموصوف بِأَنَّهُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ مَنْ هُوَ؟ فقالت فرقة: الْمُرَادُ بِهِ النَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ [8]، وذكر الواحدي: أنَّهُ قولُ عامةِ المُفسرين [9]. وقد نسبه ابن عطية: لعلي بن أبي أبي طالب، والحسن، وقتادة، ومجاهد، والضحاك، وابن عباس[10]. وقد اختار هذا القول أيضاً: الإمامُ البغويُّ[11] ، وصاحب الظلال[12].

وقالت فرقة: المراد به المؤمنون بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وهو اختيارُ البيضاويِّ ، حيث قال: (( وهو حكمٌ يَعُم ُكلَّ مؤمنٍ مخلصٍ))[13]. ثم ذكر القولين الآخرين بصيغة التضعيف، فتقديمهُ لهذا القول وتضعيفه للقولين الآخرين، دالٌّ على أنه يميلُ معه[14].

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية:3/ 142.
(2) ينظر: الكشاف:370/2. وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي:123/3.
(3) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لعبد الله النسفي:2/ 40.
(4) ينظر: التفسير الكبير: 17/ 301.
(5) ينظر: التفسير الحديث:492/3.
(6) هود: ١٧.
(7) التحرير والتنوير:26/12.
(8) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، للطبري:15/ 269.
(9) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي:568/2.
(10) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 3/ 157.
(11) معالم التنزيل في تفسير القرآن:442/2.
(12) ينظر: في ظلال القرآن:1864/4.
(13) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:131/3.
(14) ينظر: المصدر نفسه 131/3.

وقالت فرقة: الْمُرَادُ بِهِ مَنْ آمَنَ مِنَ الْيَهُودِ كَعَبْدِ اللَّه بْن سَلَامٍ وَغَيْرِهِ [1]، واختاره الرازي، وقال: (( وَهُوَ الْأَظْهَرُ؛ الْأَظْهَرُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي آخِرِ الْآيَةِ: {أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ } وَهَذَا صِيغَةُ جَمْعٍ، فَلَا يَجُوزُ رُجُوعُهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ )) [2]. وهو اختيار: الزمخشري[3] ، والنسفي[4] أيضاً.

وكذلك اختلفوا في الشّاهد المذكور في قوله ـ سبحانه وتعالى ـ : { وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ } على عِدّة أقول اختار منها الإمام الحافظ ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ قولين، وضعف قولاً ثالثاً، أما القول الأول: إنَّهُ جِبْرِيلُ ـ عليه السَّلام ـ قاله ابن عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وعِكْرِمةٍ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَالضَّحَّاكِ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِي، والسُّدِّي [5].

القول الثاني: هُوَ مُحَمَّدٌ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قاله: عَلِيٌّ، وَالْحَسَنَ، وَقَتَادَةَ [6].(( وَكِلَاهُمَا قريبٌ فِي الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ كُلًّا مِنْ جِبْرِيلَ وَمُحَمَّدٍ، ـ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا ـ، بلَّغ رِسَالَة اللَّهِ تَعَالَى، فَجِبْرِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَمُحَمَّدٌ إِلَى الْأُمَّةِ ))[7].

القول الثالث: وقد ذكره بصيغة التضعيف ، فقال: (( وَقِيلَ: هُوَ عَلِيٌّ. وَهُوَ ضَعِيفٌ لَا يَثْبُتُ لَهُ قَائِلٌ، وَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي هُوَ الْحَقُّ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ عِنْدَهُ مِنَ الفِطْرَةِ مَا يَشْهَدُ لِلشَّرِيعَةِ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةِ، وَالتَّفَاصِيلُ تُؤْخَذُ مِنَ الشَّرِيعَةِ، وَالفِطْرَةُ تَصْدُقُهَا وَتُؤْمِنُ بهَا))[8].فهو يرى أنَّ المؤمن على بينة، والشَّاهد هو الفطرة التي فطر الناس عليها.

فبناءً على اختيارات الأئمة الثلاثة: ( الزمخشري، والرازي ، والنسفي ) للقول الثالث في الموصوف أَنَّهُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ : أنَّهُ كل مَنْ آمَنَ مِنَ الْيَهُودِ كَعَبْدِ اللَّه بْن سَلَامٍ وَغَيْرِهِ، يتحصل لنا اعترافٌ آخرَ ، لأهل الكتاب بالقرآن الكريم؛ فوصف المؤمنين منهم أنهم على بينة من ربهم. والبينة هي البرهان من الله، وبيان أنَّ دين الإسلام حق، وهو دليل العقل، ويتلوه شاهد يشهد بصحته وهو القرآن[9]. ثمّ قال عنهم ، وعن الشَّاهد الذي ذكره في الآية:{ ...أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ } بمعنى أنَّ (( هؤلاء الذين ذكرت، يصدقون ويقرون به))[10].

والهمزة في قوله تعالى: { أَفَمَنْ } هي للاستِفهَام التَّقريري[11]. فيتأكد بهذا : أن الآية مسوقة لإقرار المخاطب بها لهذا القرآن.

## المسألة الرابعة: اعترافهم بإنزال القرآن على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

أهل الكتاب وجدوا في الاعتراف بالقرآن الكريم، مصداق القواعد الأساسية في عقيدة التوحيد كما وجدوها بالديانات التي سبقته وكتبها[12]، فقد حكى القرآن الكريم اعترافاً لهم من خلال فرحهم بما أنزل على النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ }[13]. نَزَلَتْ هذه الآية فِي مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، ذَكَرَهُ الْمَاوَرْدِيُّ[14]، وَاخْتَارَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فَقَالَ: (( مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْيَهُودِ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَكَعْبٍ وَأَصْحَابِهِمَا، وَمَنْ أَسْلَمَ

---

(1) الكشاف: 2/ 385، والتفسير الكبير: 17/ 329.
(2) التفسير الكبير: 17/ 329.
(3) ينظر: الكشاف:385/2.
(4) مدارك التنزيل وحقائق التأويل:51/2.
(5) قد ذكر العلامة ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في تفسيره: 4/ 312 ، أنَّ هذا قولُ غير واحدٍ . وقبله ذكر البغوي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في معالم التنزيل:2/ 442 ، 443 ، أنّه قول: (( أَكْثَرُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ)).
(6) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 4/ 312.
(7) المصدر نفسه: 4/ 312.
(8) المصدر نفسه: 4/ 312.
(9) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل:51/2.
(10) جامع البيان في تأويل القرآن:15/ 278.
(11) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لابي حيان:134/6. والاستفهام التقريري معناه: (( حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه إثباتاً ونفياً لغرض من الأغراض، على أن يكون المقرّر به تالياً لهمزة الاستفهام)) علم المعاني، لعبد العزيز عتيق:99/1.
(12) ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب:2064/4.
(13) الرعد: ٣٦.
(14) ينظر: النكت والعيون:116/3.

مِنَ النَّصَارَى وَهُمْ ثَمَانُونَ رَجُلًا: أَرْبَعُونَ بِنَجْرَانَ، وَاثْنَانِ وَثَلَاثُونَ بأرض الْحَبَشَةِ ،وَثَمَانِيَةٌ مِنَ الْيَمَنِ))[1]. فهذا اللفظ عام، أريد به الْخُصُوصُ أَيْ أَنَّ بَعْضُ مَنْ أُوتِيَ الْكِتَابَ يَفْرَحُ بِالْقُرْآنِ، كَابْنِ سَلَامٍ وَسَلْمَانَ، وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنَ الْحَبَشَةِ[2]. وقد تدل الآية على اعتراف أهل الكتاب مطلقاً؛ لأنَّ هذه السورة نازلة في مكة المكرمة، فهو يدل على إيمان أهل الكتاب في مكة واستبشارهم بالقرآن المطابق لما عندهم. ((والأسلوب هنا قويٌّ حيثُ يتضمن تقرير فرحهم بالقرآن، بالإضافة إلى الإيمان به، ومن تحصيل الحاصل أن يقال: إن ذلك بسبب ما وجدوه في القرآن من دعوة صادقة، وتطابق قوي لما كان عندهم، وهكذا تتوالى شهادات أهل العلم الكتابيين العيانية بصدق الوحي القرآني، وأعلام النبوة، والرسالة المحمدية))[3]. وأضاف صاحب الظلال قائلاً: ((والتعبير بالفرح هنا حقيقة نفسية في القلوب الصافية، وهو فرح الالتقاء على الحق، وزيادة اليقين بصحة ما لديهم، ومؤازرة الكتاب الجديد له))[4]. وبهذا يظهر لنا اعتراف أهل الكتاب بالقرآن، وصحة نزوله على نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خلال فرحهم بما أنزل عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛ لما في كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة به.

## المسألة الخامسة: الاستدلال على صدق الرَّسول بشهادة أهل الكتاب

ساق القرآن الكريم أقوال أهل العلم والكتاب، للاستدلال على صِحَّةِ النُّبوّةِ، وصدق الرسول، ووحيِّ القُرآن،فقال: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ } [5]. وهذا ردٌّ على الكفار في إنكارهم رسالة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فإنه أحال الشهادة على صدقه إلى أمرين: شهادته تعالى؛ وذلك بإظهار الحجج القاطعة والبينات الساطعة، وشهادته تغني عن أي شهادة فكفى بها شهادة.

والشهادة الثانية: شهادة من عنده علم الكتاب، أي من علماءهم فإنهم يجدون صفة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كتبهم[6]. ويرى البعض أنه خاصة بعبدالله بن سلام، واستبعده بعضهم؛ لأنَّ السورة مكية، وقيل هو ورقة بن بن نوفل، وقيل غيرهم.

يقول ابن عاشور ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعالى ـ:(( ولمَّا كانت مقالتُهُم المحكيَّةُ هُنا صريحة لا مُوَارَبَة فيها، أُمِرَ الرَّسولُ بجوابٍ لا جدالَ فيه وهو تحكيمُ الله بينه وبينهم . وقد أمرَ الرَّسول ـ عَلَيَه الصَّلاة والسَّلام ـ بأنْ يُجيبهُم جوابَ الواثق بصدقِهِ، المستشهدِ على ذلك بشهادة الصدق ، من إشهاد الله تعالى، وإشهاد العالمين بالكتب والشَّرائع ))[7].

علماً أنَّ من المفسرين من يرى أنَّ الذي عنده علم الكتاب، هم المؤمنون، عندهم علم القرآن، ولكن جرينا على القول الذي قاله كثيرٌ من المفسرين، أنَّ الكتاب هو التوراة، والذي عنده علمه هو عبدالله بن سلام وأمثاله، أو هو عام ، كما ذهب إلى ذلك الإمام فخر الدين الرازي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ قائلاً: ((يَعْنِي: أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ عَالِمًا بِهَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ ، عَلِمَ اشْتِمَالَهُمَا عَلَى الْبِشَارَةِ بِمَقْدَمِ مُحَمَّدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فَإِذَا أَنْصَفَ ذَلِكَ الْعَالِمُ وَلَمْ يَكْذِبْ، كَانَ شَاهِدًا عَلَى أَنَّ مُحَمَّدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ رَسُولٌ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى))[8]. وَمِمِّن جَنَحَ إلى العموم الحافظ ابن كثير ، حين قال: (( وَالصَّحِيحُ فِي هَذَا: أَنَّ { وَمَنْ عِنْدَهُ } اسْمُ جِنْسٍ يَشْمَلُ عُلَمَاءَ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ يَجِدُونَ صِفَةَ مُحَمَّدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَنَعْتَهُ فِي كُتُبِهِمُ الْمُتَقَدِّمَةِ، مِنْ بِشَارَاتِ الْأَنبِيَاءِ بِهِ)) [9]. وهو ما وَرَجَّحَهُ سيد طنطاوي أيضاً، فقال:(( والأول أرجح لشموله لكل من كان عنده علم بالكتب السماوية السابقة، إذ هذا الشمول أكثر دلالة على صدق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يبلغه عن ربه)) [10].

(1) الكشاف:2/ 533.
(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن:326/9.
(3) الكشاف:2/ 533.
(4) في ظلال القرآن: 2064/4.
(5) التفسير الحديث:549/5.
(6) ينظر:التفسير الكبير:54/19.
(7) التحرير والتنوير:175/13.
(8) التفسير الكبير:54/19. وينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل:160/2.
(9) تفسير القرآن العظيم:474/4.
(10) التفسير الوسيط، لمحمد سيد طنطاوي:499/7.

## المسألة السادسة: اعتراف المقتسمين من أهل الكتاب

ذكر الله تعالى طائفة من أهل الكتاب قد اعترفوا ببعض القرآن غير انهم جعلوه أجزاءَ متفرقة وقالوا فيه أقوالاً مختلفة، تأمل قوله تعالى: {كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ، الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ، فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [(1)].

وفي المقتسمين ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود والنصارى، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن ومجاهد.

فعلى هذا في تسميتهم بالمقتسمين ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: أنهم اقتسموا القرآن، فقال بعضهم: هذه السورة لي، وقال آخر: هذه السورة لي، استهزاءً به، قاله عكرمة. والثالث: أنهم اقتسموا كتبهم فآمن بعضهم ببعضها وكفر ببعضها، وآمن آخرون بما كفر به غيرهم، قاله مجاهد.

والثاني: أنهم مشركو قريش. قاله قتادة، وابن السائب، فعلى هذا في تسميتهم بالمقتسمين قولان: أحدهما: أن أقوالهم تقسَّمت في القرآن، فقال بعضهم: إنه سحر، وزعم بعضهم أنه كهانة، وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين، قاله قتادة. والثاني: أنهم اقتسموا على عِقاب مكة، قال ابن السائب: هم رهط من أهل مكة اقتسموا على عِقاب مكة .

والثالث: أنهم قوم صالح الذي تقاسموا بالله: { لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ} [(2)]. فكفاه الله شرهم، قاله عبد الرحمن بن زيد. فعلى فعلى هذا هو من القَسَم، لا من القِسمة [(3)].

فعلى ما تقدم نقول: إنَّ طائفة من أهل الكتاب، جعلوا القرآن الكريم أجزاءً مختلفة، فآمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه الآخر، فهم اعترفوا بالقرآن الكريم، من حيث العموم، لكنَّ اعترافهم هذا، لا يُعْدُّ اعترافاً كلياً بكلِّ آياتِ القرآن الكريم، فهو ليس انكاراً مطلقاً للقرآن, ولا اعترافاً مطلقاً له ، وبالمقابل كانت هنالك طائفة آخرى منهم ـ الذين هم مجال بحثنا ـ قد اعترفوا بكافة القرآن، وهم كثيرون كعبدالله بن سلام، والنجاشيِّ، وغيرهما.

## المسألة السابعة: اعترافهم أنَّ القرآن منزلٌ بالحق

ذكر الله ـ تَعَالَى ـ في القرآن الكريم ، عن طوائف من أهل الكتاب أنهم أمنوا بصحة الرسالة المحمَّديَّة، وشهدوا أنَّهُ منزلٌ بالحق، فقال: {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ، وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ، أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [(4)] قال المفكر الإسلامي محمد عزة دروزة ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ مُعلقاً على هذه الآيات: ((احتوت الآيات ردًّا مفاده، أنَّ كفار قريش إذا كانوا يقولون ما يقولون عناداً ومكابرةً، فالذين أوتوا العلم والكتاب ، يشهدون بصدق رسالة النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصدق صدور القرآن عن الله تعالى، ويعلنون إيمانهم بهما تبعاً لما كان من إسلامهم لله قبل ذلك)) [(5)]. وأضاف قائلاً:(( والآيات تنطوي في حدّ ذاتها على مشهد من مشاهد الدعوة النبوية، وأثرها في الكتابين الذين سمعوا القرآن من النبيِّ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مباشرة ، والذين لا بدّ من أنهم جادلوه وسبروا أمره ثم لم يسعهم إلّا التسليم والإيمان... وتنطوي بالتالي على شهادة خالدة، بأنَّ الكتابيين حينما يكونون في معزل عن المؤثرات، أو في قدرة على عدم المبالاة بها، متجردين من الأنانية والهوى والمآرب، وعلى شيء من حسن الإدراك، وسعة الأفق، وصفاء الطوية، لا يسعهم إلّا الإقرار بما في الرسالة المحمدية من حق، وبما في القرآن من صدق...)) [(6)].

وسبب نزول قوله تعالى: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ } كما أخرج ابن جرير عن علي بن رفاعة القُرَظِيِّ، قال: ((خَرَجَ عَشَرَةُ رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، مِنْهُمْ أَبُو رِفَاعَةَ، يَعْنِي أَبَاهُ، إِلَى النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَآمَنُوا، فَأُوذُوا، فَنَزَلَتْ: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ}.

(1) الحجر: ٩٠ – ٩٣.
(2) النمل: ٤٩ .
(3) التفسير الكبير:63/25.
(4) القصص: ٥١ – ٥٤
(5) التفسير الحديث:325/3.
(6) المصدر نفسه:326/3.

وأخرج أيضاً عن قتادة،قال: ((كُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَانُوا عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ، يَأْخُذُونَ بِهَا، وَيَنْتَهُونَ إِلَيْهَا، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَآمَنُوا بِهِ، وَصَدَّقُوا بِهِ، فَأَعْطَاهُمُ اللَّهُ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِصَبْرِهِمْ عَلَى الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، وَاتِّبَاعِهِمْ مُحَمَّدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَصَبْرِهِمْ عَلَى ذَلِكَ، وَذُكِرَ أَنَّ مِنْهُمْ سَلْمَانَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ ))[1].

وهذا على القول بأنَّ هذه الآيات مدنية، ولكن القرآن في مكة ، سَجَّلَ كثيراً من اعترافات علماء أهل الكتاب منها ما جاء في سورة الأنعام ، حيث ذكر القرآن الكريم اعترافاً آخر ، لأحبار اليهود والنصارى أنَّ القرآن منزل بالحق ، فقال: {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}[2].

وهنا قد ذهب المفسرون في المراد بالذين أوتوا الكتاب في هذه الآية على ثلاثة أقوال: القول الأول منها: (هم عُلَمَاءَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى)، قاله الجمهور. والثاني: (هُمْ مُؤْمِنُو أَهْلِ الْكِتَابِ). والثالث: (هُمْ رؤوس أَصْحَابِ النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأشباههم)، قاله عطاء[3]. وقوله: {فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} ((أي : من الشاكين في أنهم يعلمون أنه منزل من عند الله))[4]. قال أبو السعود: (( ـ وهذا ـ مِنْ بابِ التَّهييج والإلهابِ))[5]. ((ـ وفي هذا النص ـ تقرير لكون القرآن منزلاً من عند الله، لأنَّ الذين وثق بهم المشركون المشركون من علماء أهل الكتاب عالمون بحقيقته وأنه منزل من عند الله))[6].(( ـ كما يدل النص الكريم : على ـ ـ الإعجاز على أنَّ القرآن حقٌ منزلٌ من عندِ اللهِ ـ سبحانه وتعالى ـ، بعلم أهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع أنه عليه الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم، وإنما وصف جميعهم بالعلم؛ لأنَّ أكثرهم يعلمون، ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل))[7].

فالقرآن الكريم هنا: وصف أهل الكتاب كلهم أنهم كانوا يعلمون أنَّ القرآن الكريم منزلٌ بالحق؛ لأنَّ أكثر أهل الكتاب يعترفون بالقرآن ويقرون به، وهذه الصيغة: الذين آتيناهم الكتاب، وردت في مواطنَ عِدَّةٍ من القرآن الكريم، وبأساليب مختلفة، وهي جميعها دالة على أنَّ أهل الكتاب كانوا يعلمون بأنَّ القرآن حق، حتى أنَّ من لم يعلمَ منهم فهو متمكنٌ من معرفةِ صدق القرآن.

## المسألة الثامنة: اعترافُ أحبَارهم وأذكيَائهم بالقرآن

((لَمَّا بَيَّنَ اللَّهُ طَرِيقَةَ إِرْشَادِ الْمُشْرِكِينَ، وَنَفَعَ مَن انْتَفَعَ، وَحَصَلَ الْيَأْسُ مِمَّن امْتَنَعَ، بَيَّنَ طَرِيقَةَ إِرْشَادِ أَهْلِ الْكِتَابِ))[8]، قالَ الله ـ سبحانه وتعالى ـ: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ، وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ}[9].

ولم يختلف المفسرون هنا كثيراً ، فتكاد أقوالهم تكون متطابقة ، فكلهم فيما علمنا من خلال البحث في كتبهم يرون أنَّ المعنيَّ بقوله جلَّ وعلا: { فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ } هم: مؤمنو أهل الكتاب[10]، ((مِنْ أَحْبَارِهِمُ الْعُلَمَاءِ الْأَذْكِيَاءِ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَأَشْبَاهِهِمَا))[11]. يقول ابن عاشور:(( وَجِيءَ بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ سَيَقَعُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، أَوْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَجَدُّدِ إِيمَانِ هَذَا الْفَرِيقِ بِهِ، أَيْ إِيمَانُ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ

(1) جامع البيان في تأويل آي القرآن: 19/ 595.
(2) الأنعام: ١١٤.
(3) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: 3/ 181 . وزاد المسير: 2/ 69.
(4) الجامع لأحكام القرآن: 7/ 70.
(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:3/ 177 .
(6) التفسير الوسيط، لطنطاوي:5/ 162.
(7) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:2/ 179.
(8) التفسير الكبير:25/ 63.
(9)العنكبوت: ٤٦ – ٤٧.
(10) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن:50/20 ، والكشف والبيان عن تفسير القرآن:285/7، والكشاف:458/3، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن:561/3، والبحر المحيط في التفسير:360/8.
(11) تفسير القرآن العظيم:285/6.

مُسْتَمِرٌّ يَزْدَادُ عَدَدُ الْمُؤْمِنِينَ يَوماً فَيَوماً))[1]. (( وَخَصَّ هؤلاء المؤمنين منهم بإيتاء الكتاب، على سبيل المدح لهم؛ لأنهم انتفعوا بما أوتوه من علم وعملوا بمقتضاه، أما غيرهم ممن بقي على كفره، فلكونه لم ينتفع بما في الكتاب من هدايات، فكأنه لم يره أصلاً))[2].

وقد ختمت الآية الحكم بالكفر على الجاحدين بآيات الله :{ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ} و(( الْجُحُودُ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ المعرفة)) قاله قتادة [3]. فهذا يعني أنَّ المنكرين له، إنما كانوا يعترفون به، لكنهم يخفون هذا الاعتراف في نفوسهم، من أجل العناد، قال الطبري ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: ((وما يجحد بأدلتنا وحججنا إلاَّ الذي يجحد نعمنا عليه، وينكر توحيدنا وربوبيتنا على علم منه عناداً لنا))[4].فأرجع سبب عدم اعتراف الجاحدين منهم له: للعناد لا غير. غير.

## المسألة التاسعة: اعتراف شاهد بني اسرائيل

ذَكَرَ اللهُ تعالى في كتابه العزيز أنَّ شاهداً من بني اسرائيل قد شهد واعترف للنبيِّ محمدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالرسالة ، والشهادة في اللغة العربية معناها: (الخبر القاطع)[5]، قال الله ـ جلَّ جلاله ـ: {قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ، قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [6].

وقد اخْتَلَفَ المفسرون فِي الْمُرَادِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ} عَلَى أقوال: الْأَوَّلُ: وَهُوَ الَّذِي قَالَ بِهِ الْأَكْثَرُونَ، ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَعِكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ سِيرِينَ ، وَيُوسُفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْن سَلَامٍ، وَهِلَالُ بْنُ يَسَافَ، والسُّدِّي، وَالثَّوْرِيُّ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَابْنُ زَيْدٍ ، أَنَّ هَذَا الشَّاهِدَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ[7].

الْقَوْلُ الثَّانِي: هُوَ مُوسَى وَالتَّوْرَاةُ ، لَا ابْنُ سَلَامٍ ؛ لِأَنَّهُ أَسْلَمَ بِالْمَدِينَةِ وَالسُّورَةُ مَكِّيَّةٌ، قَالَه مَسْرُوقٌ[8].

الْقَوْلُ الثالث: هُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كان بمكة آمَنَ بِمُوسَى وَالتَّوْرَاةِ؛ لِأَنَّ ابْنَ سَلَامٍ إِنَّمَا أَسْلَمَ قَبْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَالسُّورَةُ مَكِّيَّةٌ، قاله الشَّعْبِيُّ[9].

الْقَوْلُ الرابع: ((لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ شَخْصاً مُعَيَّناً بَلِ الْمُرَادُ مِنْهُ أَنَّ ذِكْرَ مُحَمَّدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَوْجُودٌ فِي التَّوْرَاةِ وَالْبِشَارَةُ بِمَقْدِمِهِ حَاصِلَةٌ فِيهَا))[10].

القول الراجح:

كما عرفنا أنَّ انظار المفسرين مختلفة في المراد بهذا الشاهد، فقد رأى الطبري ـ رَحِمَهُ اللهُ تعالى ـ أنَّ الذي قاله مسروق (( أشبه بظاهر التنزيل، لأنَّ قوله: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ } في سياق توبيخ الله تعالى ذكره مشركي قريش، واحتجاجاً عليهم لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها، ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر، فتوجه هذه الآية إلى أنها فيهم نزلت، ولا دل على انصراف الكلام عن قصص الذين تقدم الخبر عنهم معنى)) [11]. لكنه عاد واستثنى فقال: (( غير أنَّ الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنَّ ذلك عنى به

---

(1) التحرير والتنوير:9/21.
(2) التفسير الوسيط:45/11.
(3) جامع البيان في تأويل القرآن:50/20.
(4) المصدر نفسه:50/20.
(5) ينظر: لسان العرب، لابن منظور:3/ 239 (مادة شهد).
(6) الأحقاف: ٩ – ١٠.
(7) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن:22/ 104 ، والبحر المحيط في تفسير القرآن :2/ 483. وتفسير القرآن العظيم:7/ 278.
(8) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن:22/ 102 .
(9) ينظر: المصدر نفسه:22/ 103.
(10) التفسير الكبير: 28/ 11.
(11) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن:22/ 107.

عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن)) [1]. ورأى ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللهُ تعالى ـ (( أنَّ الشَّاهِدُ اسْمُ جِنْسٍ يعم عبد الله بن سلام وغيره))[2].
ويقول الرازي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ مُعَلّلاً مَفَادَ الآية:(( فَهَذَا الْكَلَامُ مُقَرَّرٌ سَوَاءٌ كَانَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ الشَّاهِدِ شَخْصًا مُعَيَّنًا، أَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ المَقْصُودَ الْأَصْلِيَّ مِنْ هَذَا الكَلَام، أَنَّهُ ثَبَتَ بِالْمُعْجِزَاتِ القَاهِرَةِ أَنَّ هَذَا الكِتَابَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ،وَثَبَتَ أَنَّ التَّوْرَاةَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى البِشَارَةِ بِمَقْدَمِ مُحَمَّدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَمَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ كَيْفَ يَلِيقُ بِالْعَقْلِ إِنْكَارُ نُبُوَّتِهِ.)) [3].

والذي يظهر راجحاً في هذه المسألة هو القول الأول؛ لما أخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ} قال: ((عبد الله بن سلام))[4]. وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ} ((كنا نتحدث أنه عبد الله بن سلام آمن بكتاب الله ورسوله وبالإسلام، وكان من أحبار اليهود))[5].
ومن أقوى الادلة التي تؤيدهم أيضاً: ما أخرجه الشيخان عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَقُولُ لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْض إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ} الْآيَةَ قَالَ لَا أَدْرِي قَالَ مَالِكٌ الْآيَةَ أَوْ فِي الحَدِيثِ[6].
اذن المراد بالشَّاهد في رأي أكثر المفسرين هو عبد اللّه بن سلام، بدليل ما ذكر صاحب الكشاف: (( لما قدم رسول اللّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة نظر إلى وجهه، فعلم أنه ليس بوجه كذاب، وتأمله فتحقق أنه هو النبي المنتظر، وقال له: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الولد، فإذا سبق ماء الرجل نزعه، وإن سبق ماء المرأة نزعته، فقال: أشهد أنك رسول اللّه حقاً))[7].

أمَّا الذين قالوا: إنَّ الآية مكية و عبد الله بن سلام أسلم في المدينة. فمن الممكن ان يُجاب عليهم: (( بِأَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ فَإِنَّهَا مَدَنِيَّةٌ))[8]. ولذلك قال ابن عطية في مَطْلع تفسير سورة الاحقاف: ((هذه السورة مكية لم يختلف منها إلا في آيتين، وهي قوله: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[9] ، وقوله: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [10] الآية ، فقال بعض المفسرين: هاتان آيتان مدنيتان وضعتا في سورة مكية))[11].والدليل اذا تطرق الاحتمال اليه سقط به الاستدلال. ((وقيل: إنها مكية وأخبر بشهادته قبل وقوعها، ثمُّ وقعت على حسب ما أخبر))[12].
بعد الذي تقدم يتبين : أنَّ عبد الله بن سلام كان قد اعترف بصحة نبوة النبيِّ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وهو اعتراف واقرار واضح، من أحد كبار أحبار اليهود آنذاك، وكان أثر ذلك الاعتراف واضحاً عليه، إذ قد آمن الرجل بالنبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصَدَّق بالإسلام، كما صَرَّحَ القرآن: { فَآمَنَ} والإيمان هو أعلى درجات

(1) ينظر: المصدر نفسه:22/ 107، 108.
(2) تفسير القرآن العظيم:7/ 278.
(3) التفسير الكبير:11/28.
(4) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن:22/ 105.
(5) ينظر: المصدر نفسه:22/ 105.
(6) الجامع الصحيح المختصر، للإمام البخاري واللفظ له: برقم:( 3601) 3/ 1387 . والجامع الصحيح، للإمام مسلم: برقم: (6535) 160/7 .
(7) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:4/ 299.
(8) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ، لابن جزي:2/ 274، 275 .
(9) الأحقاف: 10.
(10) الأحقاف: ٣٥.
(11) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:91/5.
(12) التسهيل لعلوم التنزيل:275/2.

القناعة.

**المسألة العاشرة: اعترافات علماء أهل الكتاب ورهبانهم**

نبدأ هذه المسألة بالحديث عن اعترافات علماء اليهود :الأحبار[1] ، ثمَّ نُتْبِعُ الحديثَ اعترافات مؤمني النصارى :القسيسين[2] والرهبان[3]. في فرعين:

**الفرع الأول: اعترافات علماء بني إسرائيل (الأحبار).**

اتصف مؤمنو اليهود بصفات نبيلة عِدّة ، ذكرت في القرآن الكريم في مواضع مختلفة منه، لكنَّ المتصفون بالخير والفضيلة هم نزرٌ قليل لم يَبْلُغُوا عَشْرَةَ أنفُس ، كَمَا وُجِدَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَمْثَالِهِ مِمَّنْ آمَنُ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ[4]. وما نريده هنا هو البحث عن اعترافاتهم؛ لأن صفاتهم تُبحث في مواطنها ، فمن اعترافاتهم ، قوله ـ سبحانه وتعالى ـ : { لكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً }[5]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:(( أُنْزِلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَثَعْلَبَةَ بْنِ سُعَيَّةَ، وَأَسَدِ بْنِ سُعَيَّةَ، وَأَسَدِ بْنِ عُبَيْدٍ ، الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَصَدَّقُوا بِمَا أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّداً ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ))[6]. قوله ـ تعالى ـ:{ لكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ }: قال قال الطبري: ((هَذَا مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ اسْتِثْنَاءٌ , اسْتَثْنَى مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي مَضَتْ[7]. مِنْ قَوْلِهِ: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ}[8]. والمراد من قوله:{ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ }، أي: (( الثابتون في العلم، البالغون فيه، أولو البصائر الثاقبة، والعقول الصافية، وهم عبدالله بن سلام، وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب؛ لأنهم رسخوا في العلم، وعرفوا حقيقته، فأوصلهم ذلك إلى الإيمان بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ )) [9]. وقال ابن عاشور:((والراسخ حقيقته الثابت القدم في المشي ، لا يتزلزل ؛ واستعير للتمكّن من الوصف مثل العلم، بحيث لا تغرّه الشُّبه ... والرّاسخ في العلم بعيد عن التكلّف وعن التعنّت ، فليس بينه وبين الحقّ حاجب ، فهم يعرفون دلائل صدق الأنبياء ولا يسألونهم خوارق العادات)) [10].

{وَالْمُؤْمِنُونَ}: هم ((الذين هداهم الله للإيمان من أهل الكتاب ، ولم يكونوا من الراسخين في العلم منهم ، مثل اليهودي الذي كان يخدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآمنَ به)) [11]. وجاء قوله ـ تعالى ـ{ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ } منصوباً على المدح خلافاً للمعطوفات المرفوعة ؛ لبيان فضل الصلاة ، قال الزمخشري في قوله ـ

---

(1) الحِبْرُ: (العالِمُ) ، ذِمِّيًّا كَانَ، أو مُسْلِماً بعد أن يكونَ مِن أهل الكِتَابِ. وَقِيل: هُوَ للعالِمِ بتَحْبِير الكَلَامِ، وقد أُختلف في ضبط الكلمة بين فتح الحاء أو كسرها، فمنهم من ضبطها بالفتح: (حَبْرٌ)، ومنهم من ضبطها بالكسر: (حِبْرٌ) قال أبو عبيدة: (( وَهُوَ أفصحُ؛ لأنه يُجْمَعُ على أَفعالٍ، دُونَ فَعْلٍ ويُقَال ذالك للعالِمِ)). وَقَالَ الأَصمعيُّ: (( لَا أَدْرِي أهو الحِبْرُ أَو الحَبْرُ للرَّجل العالم)). قالَ أبو عُبَيْد: ((وَالَّذِي عِنْدِي أنه الحَبْرُ بالفَتْح وَمَعْنَاهُ العالِمُ بتَحْبِير الكلامِ والعِلم وتَحْسِينه)). ينظر: تاج العروس ، للزبيدي:10/ 504(مادة حبر).

(2) القِسِّيسُونَ ، جَمْع: قِسِّيس، وَقَدْ يُجْمَعُ عَلَى قُسُوسٍ بالضَّمِّ ، والقسُّ: (رَئِيسُ النَّصَارى فِي الدِّين والعِلم)، وقيلَ: (هُوَ الكَبِيرُ العالِمُ) . ينظر: تاج العروس:16/ 370 (مادة قسّ).

(3) الرهبان، جمع: راهب، وهو: (المُتَعَبِّدُ فِي الصَّوْمَعَةِ). ينظر: تاج العروس : 2/ 540 (مادة رَهَبَ).

(4) ينظر: تفسير القرآن العظيم:2/ 193.

(5) النساء: 162.

(6) تفسير القرآن العظيم:2/ 468

(7) جامع البيان في تأويل آي القرآن:7/ 678.

(8) النساء: 153 .

(9) لباب التأويل في معاني التنزيل:1/ 447.

(10) التحرير والتنوير:6/ 28.

(11) المصدر نفسه:6/ 28.

تعالى ـ:{وَالمُقِيمِينَ}: (( نصب على المدح لبيان فضل الصلاة، وهو باب واسع...)) [1]. وقد خَصَّ الله ـ تعالى ـ الصلاة والزكاة بالذكر؛ لِكَوْنِهِمَا أَشْرَفَ الطَّاعَاتِ فالصَّلَاةَ أَشْرَفُ الطَّاعَاتِ الْبَدَنِيَّةِ، وَالزَّكَاةَ أَشْرَفُ الطَّاعَاتِ المَالِيَّةِ [2].

((وَلَمَّا شَرَحَ كَوْنَهُمْ عَالِمِينَ بِأَحْكَامِ اللَّه وَعَامِلِينَ بِهَا شَرَحَ بَعْدَ ذَلِكَ كَوْنَهُمْ عَالِمِينَ بِاللَّه، وَأَشْرَفُ الْمَعَارِفِ الْعِلْمُ بِالْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ، فَالْعِلْمُ بِالْمَبْدَأِ هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : {وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ }، وَالْعِلْمُ بِالْمَعَادِ هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: {وَالْيَوْمِ الْآخِرِ})) [3].

ثم وعد الله هؤلاء المتصفين بهذه الصفات بالأجر العظيم ، وهو الجَنَّةُ[4]. (( والوعد بالأجر العظيم بالنسبة للراسخين من أهل الكتاب؛ لأنَّهم آمنوا برسولهم وبمحمّد، وقد ورد في الحديث الصّحيح : أنّ لهم أجرين ، وبالنسبة للمؤمنين من العرب لأنَّهم سبقوا غيرهم بالإيمان))[5].

وعليه ، فإن المؤمنين من علماء اليهود، قد أقروا واعترفوا بما أنزل على نبي الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والذي أوصلهم الى هذه المنزلة العظيمة هو العلم الراسخ ، والايمان الصحيح.

ومن اعترافاتهم أيضاً، قوله ـ سبحانه وتعالى ـ : {أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إِسْرائِيلَ} [6].

والمراد بقوله تعالى:{أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً }،أي:(( على صحة القرآن، أو نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ)) [7].

وقوله:{أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إِسْرائِيلَ}، أي:(( أن يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم ، وهو تقرير لكونه دليلاً))[8].
دليلاً))[8].

إذن عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَجِدُونَ ذِكْرَ هَذَا الْقُرْآنِ فِي كُتُبِهِمُ الَّتِي يَدْرُسُونَهَا، وَالْمُرَادُ: الْعُدُولُ مِنْهُمْ، الَّذِينَ يَعْتَرِفُونَ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَمَبْعَثِهِ وَأُمَّتِهِ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، عَمَّنْ أَدْرَكَهُ مِنْهُمْ وَمَنْ شَاكَلَهُمْ [9]. وهذا اعتراف من عُدُولهم بالقرآن ممن آمنوا برسول برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بني إسرائيل في عصره، وليس من أشخاص بسطاء ، بل من أحبارهم.

ويرى بعض العلماء أنَّ هذا الاعتراف والاستشهاد بأهل الكتاب إنما هو عام، يقول الآلوسي:(( وقيل: علماؤهم من أسلم منهم ومن لم يسلم، وقيل أنبياؤهم فإنهم نبهوا على ذلك وهو خلاف الظاهر، ولعل أظهر الأقوال كون المراد به معاصريه صلّى الله تعالى عليه وسلّم من علماء أهل الكتابين المسلمين وغيرهم)) [10].

وقال السَّعدي في بيان سبب الرُّجوع الى علمائهم:(( وهم أهل الصنف، فإن كل شيء يحصل به اشتباه، يرجع فيه إلى أهل الخبرة والدراية، فيكون قولهم حجة على غيرهم، كما عرف السحرة الذين مهروا في علم السحر، صدق معجزة موسى، وأنه ليس بسحر، فقول الجاهلين بعد هذا، لا يؤبه به))[11].

**الفرع الثاني: اعترافات مؤمني النصارى ( القسَّاوسة والرهبان)**

المؤمنون من القسَّاوسةِ والرهبان هم عددٌ كبيرٌ، مقارنة مع المؤمنين من اليهود، قال الحافظ ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ :((.. وَأَمَّا النَّصَارَى فَكَثِيرٌ مِنْهُمْ مُهْتَدُونَ وَيَنْقَادُونَ لِلْحَقِّ ))[12]، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ، وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ،وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ

---

(1) الكشاف:590/1.
(2) ينظر: التفسير الكبير:265/11.
(3) المصدر نفسه:265/11.
(4) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن:7/ 680.
(5) التحرير والتنوير:30/6.
(6) الشعراء: ١٩٧.
(7) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:4/ 150.
(8)المصدر نفسه:4/ 150.
(9) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 163/6.
(10) روح المعاني:124/10.
(11) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي:597/1.
(12) المصدر نفسه:2/ 193.

الصَّالِحِينَ، فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ }(1) ((ـ هنا ـ أَخْبَرَ أَنَّ مَن هذه الطائفة علماء، وزهاد، وَمُتَوَاضِعِينَ، وَسَرِيعِي اسْتِجَابَةٍ لِلْإِسْلَامِ، وَكَثِيرِي بُكَاءٍ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ، وَالْيَهُودُ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَالْوُجُودُ يُصَدِّقُ قُرْبَ النَّصَارَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَبُعْدَ الْيَهُودِ. ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ الْإِشَارَةُ بِذَلِكَ إِلَى أَقْرَبِ الْمَوَدَّةِ عَلَيْهِ، أَيْ مِنْهُمْ عُلَمَاءُ وَعُبَّادٌ وَأَنَّهُمْ قَوْمٌ فِيهِمْ تَوَاضُعٌ وَاسْتِكَانَةٌ، وَلَيْسُوا مُسْتَكْبِرِينَ وَالْيَهُودُ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ قَطُّ أَهْلُ دِيَارَاتٍ وَلَا صَوَامِعَ وَانْقِطَاعٍ عَنِ الدُّنْيَا، بَلْ هُمْ مُعَظِّمُونَ مُتَطَاوِلُونَ لِتَحْصِيلِهَا حَتَّى كَأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِآخِرَةٍ وَلِذَلِكَ لَا يُرَى فِيهِمْ زَاهِدٌ(2).

((وقد تضمن المشهد صورة رائعة لإيمان هذه الجماعة. وأثر ما تلاه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من القرآن عليهم حيث فاضت أعينهم من الدمع، حينما سمعوا ذلك ابتهاجاً بالحق الذي انطوى فيه وعرفوه من قبل. وحيث أعلنوا إيمانهم، ودعوة الله أن يكتبهم في سجل المؤمنين الشاهدين المصدقين، وتساءلوا عَمَّا إذا كان يصح أن لا يصدقوا ويؤمنوا بالله والحق الذي سمعوه عن الله في حين أنهم يأملون من الله أن يجعلهم في جملة عباده الصالحين. واحتوت الآيات تقريراً بأنَّ الله عزّ وجل قد أثابهم على ما وقع منهم بجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وهو جزاء المحسنين، وبأن الذين كفروا هم أصحاب الجحيم)) (3).

والمراد بقوله تعالى: { تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ }، أي: (( تمتلئ من الدمع حتى تفيض؛ لأنَّ الفيض أن يمتلئ الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه، فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء، وهو من إقامة المسبب مقام السبب، أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها، أي: تسيل من الدمع من أجل البكاء من قولك: دمعت عينه دمعاً)) (4).

وبهذه المسألة نختم بحثنا عن استشهادات القرآن الكريم بأهل الكتاب على صحة الرسالة المحمدية والوحي القرآني، سائلين المولى ـ جل جلاله ـ أن يكون ما كتبناه خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يجعل العلم حجة لنا لا حجة علينا، وأن يرزقنا الهدى والتقى والعفاف والغنى، وألا يكلنا إلا أنفسنا طرفة عين؛ فهو حسبنا ونعم الوكيل.

## الخاتمة

بعد هذا العرض، لاستشهاد القرآن الكريم بأهل الكتاب على صِحَّةِ الرِّسالةِ المُحَمَّدِيَّةِ، والوَحيِّ القُرآنِيِّ، فإننا نختم بحثنا بأهم النتائج التي توصلنا إليها وهي كما يأتي:

1. تَبَيَّنَ أنَّ المراد بمصطلح أهل الكتاب هم: اليهود والنصارى، عند غالبية العلماء، ومنهم من توسع في هذا المفهوم، فأدخل تحته كل من يدين بدين سماوي، غير أنَّ الرأي المختار عندنا أنَّ أهلَّ الكتاب هم اليهود والنصارى ليس إلاّ؛ لظاهر نصوص القرآن.
2. قد وردت هذه الكلمة ـ ونعني بها أهل الكتاب ـ في مواضع مختلفةٍ، وصيغ متعددة، أشهرها وأكثرها استعمالاً صيغة: (أهل الكتاب)، وقد جاءت في إحدى وثلاثين موضعاً من القرآن الكريم، تليها مرتبة صيغة:(الذين أوتوا الكتاب) وقد جاءت في ستة عشر موضعاً من القرآن الكريم، وهناك صيغ أخرى وردت مرةً، ومرتين، وثلاث.
3. بَانَ من خلال البحث أنَّ أهل الكتاب كانوا يعرفون ويعترفون بالقرآن إلى حد أنهم يعرفونه كما يعرفون أبنائهم، وهذا الاعتراف والعلم بحقيقة صدق القرآن قد عرفه عامة أهل الكتاب لأنهم وصفوا جميعاً بالعلم؛ فأكثرهم يعلمون، ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل.
4. ظهر اعتراف أهل الكتاب بالقرآن، وصحة نزوله على نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خلال فرحهم بما أنزل عليه ؛ ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما في كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة به.
5. قد شَهِدَ واعترفَ بالقرآن أحبارٌ وقساوسة كعبدُ الله بن سلام فآمنوا به، وصدقوه، والإيمان كما هو معلومٌ هو أعلى درجات القناعة والاعتراف. وممن اعترف بالقرآن سوى عبدالله بن سلام، كثيرون منهم: سلمانُ

(1) المائدة: ٨٢ ـ ٨٥.
(2) البحر المحيط:4/ 344.
(3) التفسير الحديث:202/9.
(4) الكشاف:1/ 269،670.

الفارسيّ، وَعَبْدِ اللَّه بْن صُوريَا، وتَمِيمِ الدَّارِيِّ، وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ- رحمهم الله تعالى جميعاً. بل حتى المقتسمين منهم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الحجر قد اعترفوا ببعض القرآن.

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
(1) أحكام القرآن، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي (ت543هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا (الطبعة الثالثة دار الكتب العلمية، بيروت 1424هـ - 2003م).
(2)إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت982هـ)،(دار إحياء التراث العربي – بيروت).
(3)أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت685هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي (الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي - بيروت 1418 هـ).
(4)تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي (ت 1205هـ) مجموعة من المحققين (دار الهداية).
(5)تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق ، عثمان بن علي بن محجن الزيلعي (ت 743 هـ) (الطبعة الأولى المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة1313 هـ).
(6)التفسير الحديث، محمد عزة دروزة (دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1383 هـ).
(7)التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد ابن جزي الكلبي (ت 741هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي (الطبعة الأولى شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت1416 هـ).
(8)تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة (الطبعة الثانية دار طيبة للنشر والتوزيع 1420هـ - 1999 م ).
(9)التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي (ت606هـ) (الطبعة الثالثة دار إحياء التراث العربي - بيروت1420 هـ).
(10) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي(الطبعة الأولى دار نهضة مصر - القاهرة).
(11) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة 1420هـ -2000م).
(12) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت 310هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر(الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة 1420 هـ - 2000 م).
(13) الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش(الطبعة الثانية دار الكتب المصرية - القاهرة 1384هـ - 1964 م).
(14) الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري ( ت256هـ) تحقيق: د. مصطفى ديب البغا (الطبعة الثالثة دار ابن كثير، اليمامة – بيروت هـ1407 – 1987م).
(15) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري (ت261 هـ) ، (دار الجيل بيروت - دار الأفاق الجديدة - بيروت).
(16) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت 1270هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية (الطبعة الأولى دار الكتب العلمية - بيروت 1415 هـ).
(17) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي ( الطبعة الأولى - دار الكتاب العربي - بيروت1422 هـ).
(18) علم المعاني ، عبد العزيز عتيق (ت 1396 هـ) ، (الطبعة الأولى دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1430هـ - 2009م).
(19) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت 1385هـ) (الطبعة السابعة عشر دار الشروق

- بيروت - القاهرة 1412 هـ ).
(20) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري(ت 538هـ) ، (الطبعة الثالثة دار الكتاب العربي بيروت1407 هـ).
(21) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت 427هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور (الطبعة الأولى - دار إحياء التراث العربي، بيروت 1422هـ - 2002م).
(22) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالخازن (ت 741هـ) تصحيح: محمد علي شاهين (الطبعة الأولى دار الكتب العلمية - بيروت 1415 هـ).
(23) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على المعروف بابن منظور الإفريقى (ت 711هـ)، (الطبعة الثالثة دار صادر- بيروت1414 هـ).
(24) مجاز القرآن، معمر بن المثنى التميمي (ت210هـ) تحقيق: محمد فؤاد سركين (مكتبة الخانجي - دار غريب القاهرة 1988م).
(25) مجمع الأمثال، أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت 518هـ) تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد (دار المعرفة - بيروت).
(26) المجموع شرح المهذب، يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ) (دار الفكر).
(27) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت542هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد الطبعة الأولى دار الكتب العلمية - لبنان 1422 هـ).
(28) المحلى بالآثار، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (ت456هـ) ، (دار الفكر - بيروت).
(29) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت710هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو (الطبعة الأولى دار الكلم الطيب، بيروت 1419 هـ - 1998م).
(30) معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي (ت 510هـ) تحقيق : عبد الرزاق المهدي (الطبعة الأولى - دار إحياء التراث العربي بيروت 1420 هـ).
(31) معاني القرآن، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الفراء (ت 207هـ) تحقيق: أحمد يوسف النجاتي - محمد علي النجار - عبد الفتاح إسماعيل الشلبي (الطبعة الأولى دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر).
(32) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل ، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت 620هـ) ، (الطبعة الأولى دار الفكر - بيروت1405).
(33) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني (ت 548هـ) تحقيق : محمد سيد كيلاني (دار المعرفة - بيروت 1404).
(34) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (ت 885هـ) تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي (دار الكتب العلمية بيروت 1415هـ - 1995م).
(35) النكت والعيون، علي بن محمد بن محمد بن حبيب الشهير بالماوردي (ت 450هـ) تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ( دار الكتب العلمية - بيروت).
(36) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت 468هـ) تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس (الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت 1415 هـ -1994 م ).